قراءة وصفيّة تحليليّة لمراسلات بين حكّام عمان والسلاطين العثمانيّين

د. عيسى بن محمد السليماني

أستاذ مشارك، النقد والأدب، كلية العلوم التطبيقية بنزوى، وزارة التعليم العالي

ملخص البحث

إنّ أدب الرسائل لم يلق اهتماماً بالغاً مثلما لقيت الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والقصة والمسرحية وغيرها من الأجناس. بل لا تجد سوى دراسات محدودة تناولت أدب الرسائل بلغة نقدية حديثة؛ خاصّة ما يتعلق بأدب الرسائل العمانية. ذلك مما دفعني لكتابة هذه الورقة البحثية، التي تحاول قراءة الرسائل المتبادلة بين حكام عمان وسلاطين الدولة العثمانية.

وعليه فورقة البحث ستناقش:

- مصطلح الرسالة وكيف تطورت، وتصنيفها من قبل القدماء والمحدثين.
- أنواع الرسائل المتبادلة بين حكام عمان والدولة العثمانية، وما تقسّم عنها من موضوعات.
- قراءة للغة الخطاب، من خلال اختيار نماذج تمثل النوعين: الرسمي، والإخواني.
- نتائج البحث.

مقدمة:

إن البعد الاستراتيجي الذي تمتّعت به عمان إبّان حكم السيّد سعيد بن سلطان البوسعيدي أكسبها مكانة مرموقة متميّزة بين دول العالم عامة؛ لكونها تعدّ الحارس الأمين لمنطقة الشرق الأوسط آنذاك. هذه الأبعاد أكسبتها تجذّراً تاريخيّاً على جميع المستويات: السياسيّة والتاريخيّة والحضاريّة؛ مما جعل لغة التواصل بينها وبين الدول الكبرى في المنطقة ذات أهميّة كبرى.

ومن الدول العظمى في تلك الفترة، الدولة العثمانية، والتي امتدت سيطرتها على غالبية المنطقة باستثناء عمان؛ مما جعل الدولة العثمانية تسعى لكسب روح التواصل مع عمان؛ لمكانتها المرموقة في العالم والمنطقة؛ خاصة كونها تمتلك قوة بحرية كبرى، فما كان لدولة عمان إلا أن نمّت روح التواصل بينها وبين الدولة العثمانية.

وكانت البدايات الأولى لهذه العلاقة في عهد الإمام أحمد بن سعيد عندما طرد الفرس من البصرة، ثم تطورت اللغة التواصلية بين الدولتين على مستويات متعددة: السياسية والحضارية والتجارية، سواء مع تركيا مباشرة، أو مع الدول الأخرى التي كانت خاضعة لسيطرة الدولة العثمانية مثل: مصر والحجاز والبصرة«[1]». وبدا ذلك في الحضارة العمانية التي تنوعت أشربتها الثقافيّة والتاريخيّة وغيرها.

إن أدب الرسائل لم يلق اهتماماً بالغاً مثل ما لقيت الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والقصة والمسرحية وغيرها من الأجناس، بل لا تجد سوى دراسات محدودة تناولت أدب الرسائل بلغة نقدية حديثة، خاصة ما يتعلق بأدب الرسائل العمانية، ذلك مما دفعني لكتابة هذه الورقة البحثية، التي تحاول قراءة الرسائل المتبادلة بين حكام عمان وسلاطين الدولة العثمانية. وعليه فورقة البحث ستناقش:

مصطلح الرسالة وكيف تطورت، وتصنيفها من قبل القدماء والمحدثين.

أنواع الرسائل المتبادلة بين حكام عمان والدولة العثمانية، وما تقسم عنها من موضوعات.

قراءة للغة الخطاب، من خلال اختيار نماذج تمثل النوعين: الرسمي، والإخواني.

نتائج البحث.

أولا: مصطلح الرسالة:

مصطلح «الرسالة» شاع عند النقاد في هذا المجال بأنه جنس نثري، إلا أن المتتبع للنصوص القديمة يلاحظ أن المادة الأدبية التي تُسمى رسائل تضم نصوصاً مختلفة الأشكال والوظائف، أما من حيث الأشكال فنجد نوعيين من الرسائل: شعري، وهي مبثوثة بين ثنايا دواوين الشعراء في صيغة مراسلات، وذلك في استهلال القصائد، ونثري، وهو الشائع والغالب«[2]». وعليه فهذه الورقة ستناقش النوع النثري من الرسائل فقط.

إن مصطلح الرسالةلم يكن حديثاً على الجنس النثري، بل له جذور تاريخية منذ العصور الجاهلية، والرسالة مشتقة من «الترسل من ترسلت أترسل ترسلا، وأنا مترسل...، ويقال:

أرسل يرسل إرسالا وهو مرسل، والاسم الرسالة، أو أرسل يراسل مراسلة، وهو مراسل وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به من بعيد فاشتق له اسم الترسل، والرسالة من ذلك» «[٣]». هذا الجنس النثري اشتغل به الأقدمون، فأولوه عناية بالغة، مما جعلهم يضعون له شروطا وقوانين، ومن ذلك ما سجله ابن الصيرفي «٤٦٣ – ٥٤٢ هـ – ١٠٧١ – ١١٤٧ م» في كتابه القانون في ديوان الرسائل: «فأما صناعة الشعر وذكر بديعه وسائر أنواعه وتقاسيمه فقد أكثر كل منهم فيه المقال، وتوسع في تصنيفه وأطال، ورأيتهم أهملوا الكلام في الكتابة الجليلة قدرا، النبيهة ذكرا، الرفيعة شأنا، العلية مكانا»«[٤]». كما نجد ناقداً آخر يضع شروطاً يجب أن يتحلّى بها كُتّاب الرسائل، يقول شهاب الدين الحلبي «٧٢ هـ»: «فإنه لما جعل الله لي في كتابة الإنشاء رزقا، باشرت بسببه من وظائفها ما باشرت، وعاشرت من أجله أكابر أهلها وأئمتها من عاشرت، ورأيت مذاهبهم في أساليبها ما رأيت، ورويت من قواعدها بالمجاورة والمحاورة ما رويت، واطلعت فيها بكثرة المباشرة على طرائق، وألجئت فيها باختلاف الوقائع إلى مضائق أي مضائق، ونشأ لي من الولد وولد الولد من عاناها وترشح لها من بنّي من لم أرض له بالتلبس بصورتها دون التحلي بمعناها، فأحببت أن أضع لهم ولمن يرغب في ذلك في هذه الأوراق فصولها قواعد، وأقيم لهم فيها على ما لا يسع الجهل به من أصولها وفروعها شواهد؛ ليأتوا هذه الصناعة من أبوابها، ويعلموا من طرقها ما الأخص بأوضاعها، والأولى بها. وسميته حسن التوسل إلى صناعة الترسل» «[٥]».

فالرسالة جنس أدبي عرفته جميع الثقافات القديمة والحديثة، إلا أن انتشارها ازداد في الآداب الغربية الكلاسيكية الحديثة، والأدب العربي الحديث بمقومات اختلفت لغتها عن البناء السابق، إذ تعد خطاباً سردياً، وقد أشار سعيد يقطين إلى ذلك عندما قال: «إن الخطاب المسرود يبدو لنا من خلال خطاب الراوي في هيمنة صيغة السرد، وكذلك في بقية الخطابات»«[٦]». بل إن كثيراً من النقاد تناولوا الرسائل ضمن نظام أجناس السرد الذاتي، أو ضمن نظام أجناس أدب الوقائع، فكانت نتائج هذا المنهج في قراءة النصوص أخصب وأثرى مما آلت إليه البحوث التي عزلت هذا الأدب عن الأنظمة التي نشأ فيها«[٧]». فالراوي = المرسل والمروي له = المرسل إليه، والخطاب المسرود = الرسالة. وعليه فالرسالة هي جنس نثري يحمل لغة الاتصال بين طرفين في أغراض شتى.

ثانيا: أنواع الرسائل:

هذا الجنس الأدبي لم يتوقف عند حدود معينة، بل أخذ ينمو ويتطور خاصة في العصر العباسي، فظهرت أنواع من الرسائل: الرسمية والإخوانية، وقد أشار القلقشندي «٨٢١ هـ– ١٤١٨ م» في صبح الأعشى إلى أنواع الرسائل الرسمية، إذ قسّمها ثلاثة أقسام: أحدها «رسم ما يجب أن يرسم لكلٍّ من العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهي، وترغيب، ووعد ووعيد، وإحماد وإذمام، والثاني: استخراج الأموال من وجوهها، واستيفاء الحقوق السلطانية

فيهـا. والثالـث: تفريقهـا فـي مستحقيها من أعوان الدولة»...«[٨]». ولذلك فهو قابل بدوره للتقسيـم الداخلي،...ولكـن أشهر تصنيف عـرف للرسالة هـو إرجاعهـا للمحيط الذي تستعمـل فيه، حيث ميـز فيها النقـاد صنفين كبيرين: الرسائل السلطانية والإخوانية«[٩]».

وعليه فجـل النقـاد القدامى سموا مـا يتعلق بأمـور الدولـة بالديوانيـة«[١٠]»، ومـا يتصـل بالعلاقـات الاجتماعية بالإخوانيـة،«[١١]». وما يتصل بالمعتقدات بالدينية«[١٢]». إلا أن مسمى الأدبية للرسائل عند بعض النقاد، يجعلنا نقف وقفـة تأمل لهـذا التقسيـم. وقـد ناقش هذه القضية أنيس المقدسي عندما قال: «لا تختلف هذه الرسائل من حيـث الصناعة اللفظية عن الرسائل الديوانيـة، فأكثرها يسود فيه السجع والبديـع، وإنما أفردنا له باباً خاصاً لاختلاف أغراض المكاتبات الرسمية... وأما الأسلوب النثـري فـي هـذه الرسائـل فهـو متماثل في الصنفيين»«[١٣]».

ثالثا: نوعية الخطاب

بعـد هـذه المقدمـة التي أفـرزت لنـا نوعية المراسلات المتداولة بيـن المرسل والمتلقي عبـر رسالـة منطوقـة يظهر بعدهـا من خلال المتلقي ونوعيـة الخطاب، إذ الخطاب يتنوع بعده بتنوع دلالته. وفي هذا الإطار سنتحدث عن نوعيـة البعد النصي من خـلال منطوقه، إلا أننـا نجـد أنفسنـا أمام إشـكال نقدي هل الخطـاب = النصـ، أم هناك ثمـة فرق بين هذين المصطلحين.

فالخطاب في اللغة يقصد به كل ما ينطلق من مملكـة الكلام، وقـد عرفه ربيعـة العربي بأن الخطاب وحدة لغوية طبيعية توظف باستمرار في عمليـة التواصل«[١٤]»، كمـا النص يقصد بـه المادة الخـام للمنطـوق، وقد عـد النقاد الغربيين كلمة النصـ أقدم من الخطاب«[١٥]»، وبعد قـراءات نقدية قدمها ربيعـة العربي في بحثه «الحد بيـن النص والخطـاب» تبين أن هناك تداخلاً بيـن المصطلحين «فنلاحظ بأن مفهـوم النص يقترب بـل يتماهى مع مفهوم الخطـاب فـي التصـورات التي تـدرج بعد السياق التواصلـي، بحيث يصبح المفهومان تداوليـن، وبالتالي يصعـب التفريق بينهما، بل أحياناً يصبح الخطاب أعم من النص، كما عبر ذلك مفتاح، أو النصـ أعم من الخطاب كمـا عبر ذلك سعيد يقطيـن»«[١٦]». من جانب آخـر نجـد «اختلافـات بين هـذه الخطابات على مستوى كمية الإخبار ونوعيته في مجرى الخطـاب، وكذلـك الرؤيـة السرديـة التـي من خلالهـا يتم إرسـال الخطـاب، لكننا مع ذلـك نجد صيغة الخطـاب المسرود في هذه الخطابات هي المهيمنة» «[١٧]».

أ –: الخطاب الرسمي:

الوثائـق التي اطلعت عليهـا من خلال «هيئة الوثائق والمخطوطات الوطنية» «[١٨]»، بسلطنة عمـان، أغلبها كانـت مراسـلات رسمية بين الدولتيـن، إلا أن تلـك المراسـلات جاءت أبعادها الخطابية متنوعة بتنوع الحدث:

موضوعات المراسلات الرسمية:

سياسية: وقد تمثل ذلك في الوثائق الآتية:

الوثيقـة رقـم – ٥ – المتضمنـة خطاباً من السلطـان العثماني، إلى إمـام مسقط، حول

تقديم الاعتذار عن التصرفات السيئة التي ارتكبها مصطفى باشا، والي بغداد السابق، في حق الأمير هلال قائد الجنود المرسلين إلى البصرة من مسقط للمساعدة في فك الحصار عن مدينة البصرة، والشكر لإمام مسقط على التعاون «[١٩]».

الوثيقة رقم - ٧ - والتي تحمل لغة الجواب من إمام مسقط للسلطان العثماني، موضحة بأن ما قمنا به هو خدمة للإسلام «[٢٠]».

عسكرية: وهي ما جاءت لغتها ذات بعد عسكري متمثلة في مجموعة من المراسلات نقف عند بعضها:

١ - الوثيقة رقم ١٣٧ - والمتضمنة مذكرة مرفوعة إلى وزارة الداخلية العثمانية حول موقف السيد فيصل حاكم مسقط من وصول سفينتين إنجليزيتين إلى أبوظبي في سواحل عمان «[٢١]».

٢ - الوثيقة رقم - ٦٨ - أ - ب - والتي تحمل دلالتها توجيهات من الصدر الأعظم «رئيس الوزراء العثماني» حول الاتصال بالقنصل العام العثماني في مومباي، للتأكد من تحرك المركب «باعلا يولاد» الذي يحمل اثني عشر مدفعا، والاستعلام عن وجهته، كذلك الاتصال بالسفارة البريطانية للاستفسار عن الهدية المقدمة من حكومة الهند إلى حاكم مسقط، والتي كانت عبارة عن مبلغ من المال، وأدوات بناء لإنشاء تحصينات في بعض المناطق الواقعة قرب مسقط «[٢٢]».

تجارية:

البعد التجاري كان أساً من أسس العلاقات الودية بين الدول، لكنه تحول بعد ذلك لنوع رسمي مثل ما نقرأه في هذه الوثائق؛ لكونه يتعلق بمعاهدات تجارية، وشروط جمركية، وأمور تمس الأمن الوطني ومن تلك الوثائق:

الوثيقة رقم - ٣٣ - رسالة مرسلة إلى وزارة المالية بطلب اعتماد رسوم الجمارك التجارية على البضائع القادمة من مسقط وزنجبار بالتعرفة الداخلية بدلاً من التعرفة الأجنبية المعتمدة، وذلك لخصوصية العلاقة التي تربط بين كل من: الدولة العثمانية ومسقط وزنجبار «[٢٣]».

ب: الخطاب الإخواني:

الوثائق ذات الطابع الإخواني المتوفرة في هيئة المخطوطات والمحفوظات الوطنية بسلطنة عمان بين عمان وتركيا «لم تمثل نسبة كبرى مقارنة بالنوع السابق، وهذا أمر طبيعي، إذ التواصل الرسمي بين الدول هو الذي سيطر على لغة الخطاب بشتى أنواعه. وعليه فأغلب هذا الجنس الأدبي جاء على لغة:

الرسائل الودية التي كانت خطاب تجاذب بين الملوك والرؤساء، وغيرهم، وقد تمثل ذلك: في الرسالة الودية المرسلة من محمد علي باشا إلى السلطان سعيد بن سلطان» «[٢٤]»، سيما أن ذلك التواصل الودي لا يخلو من بعد سياسي، نترك الحديث عنه في تحليل الخطاب.

الرسالة المرسلة من قبل عبد الفتاح، إلى السيد حمود بن محمد بن سعيد، حول الكتاب الذي أهداه إياه عن الدولة العثمانية «[٢٥]».

الرسالة الودية من السيد ثويني بن سعيد، إلى سعيد باشا بن محمد علي باشا «[٢٦]». إلا أن هذه الرسالة حملت بعدين ظاهرها ودي ومضمونها سياسي، لما اكتنزته دلالتاها حول

الوصية السياسية التي أوصاه إياه حول محمد ابن علي المتوجه لمصر.

ومنهـا الوثيقة رقـم – ١١ – والتي تحمل في طياتها هديـة من السلطان العثمانـي إلى إمام مسقـط وعمان، وهي عبارة عن ذهب وزجاج أخضر«٢٧».

٥ – الوثيقـة رقـم – ٢٠ – وهـي رسالـة من السلطـان سعيـد بـن سلطـان إلـى معشوق باشـا والي البصرة يسأله عـن أحواله ويخبره بوصول كتابه الذي أدخل عليه السرور ويطمئنه بوصوله مسقط ويؤكد له دوام المحبة«٢٨».

خامساً: تحليل لغة الخطاب

إن مسـار تأويـل الخطاب الأدبـي وتلقيه لا يمكـن فصله عن مسـارات التأويل المرتبطة به، وقد ظهرت عدة طرائق لتأويل الخطاب، ولسنا بصـدد الحديث عنهـا، إلا أن النظرة الحديثـة للنقاد فـي قضية التأويـل توصلت لقـول حاسم مفـاده: «غلبـة التأويـل، أي الحضـور الأكبـر للقـارئ دون أن يحصـل الغيـاب الكلي للنصـ، ولا المؤلف» «٢٩». فالخطـاب المؤول، تكونه مفـردات وجمل تختلف استعمالاتها بمقتضى السياق؛ لذلك نجد أنفسنـا مضطرين للتفرقـة بين المفردة واستعمالاتها، وقد أشار جون لاينز في كتابه إلى هـذا المعنى«٣٠». هـذه القضية لم تكن جديدة على البلاغة العربية، فالواقعة اللغوية تُعوّض بدلالة جديدة، غير الدلالة المعجمية الظاهرة، وهذا ما فسّره عبد القاهر في دلائله حين قـال «هـي أن تقـول المعنـى ومعنى المعنى، تعنـي بالمعنى المفهـوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنـى أن تعقل من اللفـظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنـى آخر»«٣١». هذه الدلالة الجديـدة تُستقى عن طريق المخيلة، خارجـة عـن الإدراكات الحسيـة، مخترقة للحدود المرئية؛ لتبلغ عمق الأشياء، فتقرب بين الدلالتيـن المتنافرتيـن، فتصبح صورة ذات شاعرية أرفع وأقوى.

لم تغـب هيكلة الرسالـة وشكلها الخارجي عند النقاد: بـل لقيت اهتمامـاً كبيراً من قبل كتابهـا، فاختـاروا لها أقلامـاً بارعة؛ لتخرج بأسلوب يجـذب المتلقـي لقراءتها، حيث ألـف النقاد القدمـاء فصولاً تتعلـق بإخراج الرسالة من خلال الكاتب والقلم المستخدم، فالقلقشندي فـي كتابه صبـح الأعشى أفرد فصلاً طويـلاً عن الخط وما يتعلـق به«٣٢»، كل ذلك من أجل إبراز جمالية النص وعرضه للمتلقـي، بل بعض النقاد جعل أنواعاً خاصة من الـورق لهذا النوع مـن الكتابة، وطريقة الكتابـة عليه... بل يتوقف عنـد هذا الحد، وإنما اهتموا كذلك بالكـم اللغوي وتشكيل النص«٣٣». والخط المختار في كتابة الرسائل له أبعاد دلاليـة من خلال الخطاب الصوتي. وهذا يصـل بالنص إلى «تكامل كل الأدوات الإخراجية وجعـل المتلقي نقطة يفضي إليها ناتج العملية الإبداعية«٣٤».

إن قضيـة الوقوف عند هيكلة النص قد أشار إليها بعض النقـاد، بل توقف عندها مفصلا، وقد سماها عناصر المنهج«٣٥».

وترجمة لتلك المعطيات النقدية المنهجية، فإننـا سنتوقـف مع نمـاذج تمثـل البعدين «الرسمـي والإخواني» بمنهـج يحاول قراءة هيكلة النص الخارجي، والبعد الدلالي للغة الخطاب المتولدة من النص.

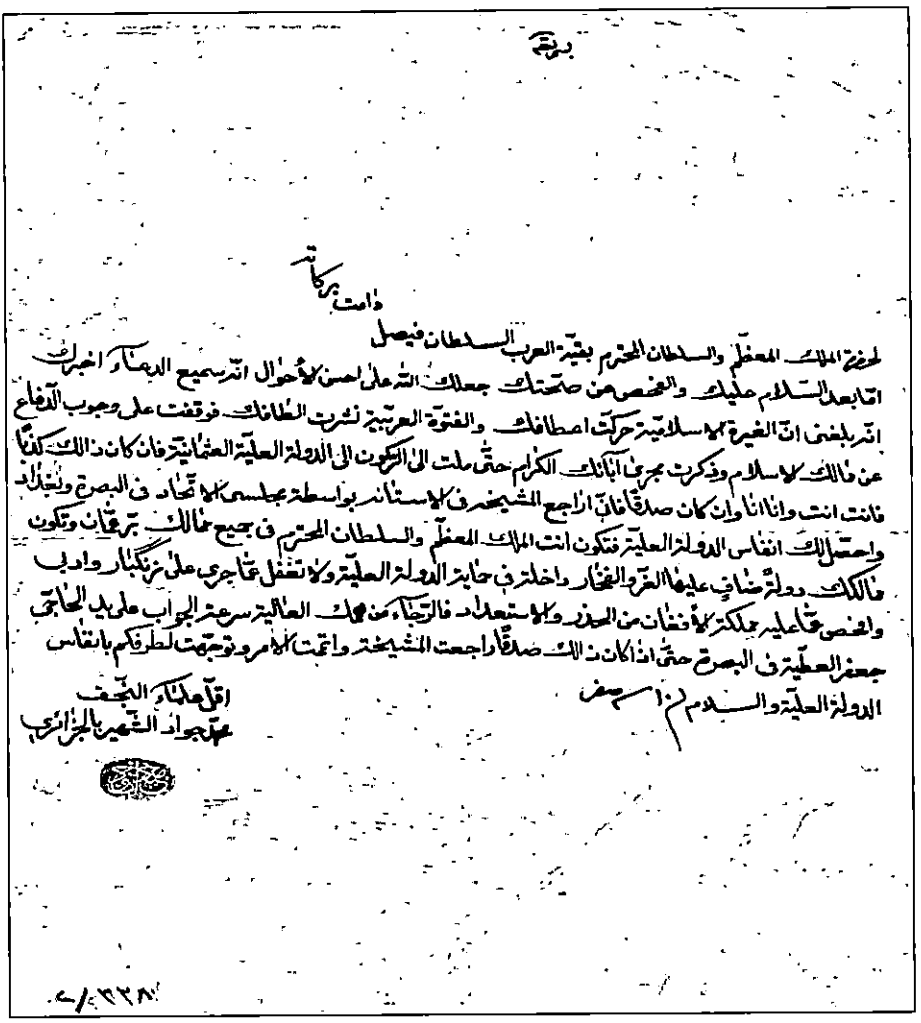

الأنموذج الأول: مخطوطة مرقونة بهيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، سلطنة عمان.

نص الرسالة السابقة:

بسم الله

« لحضرة الملك المعظم والسلطان المحترم بقية العرب السلطان فيصل دامت بركاته.

أما بعد السلام عليك، والفحص عن صحتك، جعلك الله على أحسن الأحوال إنه سميع الدعاء. أخبرك أنه بلغني أن الغيرة الإسلامية حركت أعطافك، والفتوة العربية نشرت ألطافك، فوقفت على وجوب الدفاع عن ممالك الإسلام، وذكرت مجرى آبائك الكرام، حتى ملت إلى الركون إلى الدولة العلية العثمانية، فإن كان ذلك كذبا فأنت أنت، وأنا أنا، وإن كان صدقا فإني أراجع المشيخة في الاستانة بواسطة مجلسي الاتحاد

في البصـرة وبغداد،وأحصل لك أنفاس الدولة العلية، فتكون أنت الملك المعظم، والسلطان المحتـرم في جميـع ممالك بـر عمان،وتكون ممالكك دولة ضاف عليها العز والفخار،داخلة في حمايـة الدولة العليـة، ولا تغفل عما جرى على زنكبار،وافحصـ عما عليه مملكة الافغان مـن الحـذر والاستعداد،فالرجـاء من هممك العالية سرعـة الجواب على يد الحاجي جعفر العطية فـي البصرة،حتـى إذا كان ذلك صدقا راجعـت المشيخة،وأتممـت الأمر،وتوجهت لطرفكم بأنفاس الدولـة العلية والسلام.١٠ / صفر

أقـل علمـاء النجـف محمـد جـواد الشهير بالجزائري »

هيكلة النص:

جاءت هيكلـة الرسالة المصـدرة من مندوب الدولة العثمانية إلـى السلطان فيصل بن تركي كما يلي:

البسملة: لم يذكر المرسل البسملة.

نوعها: ينتمي للرسائـل الرسمية؛ لكونها تعالج قضية تتعلق بأمور الدولة.

خطها: ينتمي لخط الرقعة، المنمق الجميل.

رقمها: رقمت برمز.

تاريخهـا: جـاءت مؤرخـة بالتاريـخ القمري الهجـري – العاشـر من صفـر الموافق ١١-١٠-١٨٩٧.

اسـم المرسـل إليه: "حضـرة الملـك المعظم والسلطان المحترم بقية العرب السلطان فيصل دامت بركاته".

لغـة التبجيل والتقديـر والاحتـرام، بارزة في مقدمة الرسائل الرسمية التي كانت متداولة بين الملوك والأمـراء في عصر الدولـة العثمانية، كما عليه هذه الرسالة، فالصبغة الأدبية واضحة جلية.

التحية الافتتاحية: جـاءت متناسبة مع مقتضى الحـال للرسائـل الرسمية وهـو قوله:«أما بعد فالسـلام عليـك، والفحصـ عـن صحتك، جعلـك الله على أحسـن الأحوال إنـه سميع الدعاء». جاءت لغـة التحية مضمخة بالسؤال عن أحوال وصحـة المرسل إليه، وذلك متجل في الرسالة.

موضـوع الرسالـة: تـدور حـول العلاقـات السياسية بين البلدين، وذلك من قوله: أخبرك أنه بلغنـي أن الغيرة الإسلامية حركت أعطافك إلـى قوله: وتوجهـت لطرفكم بأنفاس الدولة العلية.

الخاتمـة: وجدت، لكنها مختصـرة وهي قوله «والسلام ».

المرسل: أقل علماء النجف محمد جواد.

الختـم والتوقيع: موجود فـي الزاوية اليسرى من أسفل الرسالة.

لغة الخطاب:

حمـل النص لغـة خطابيـة مصـدرة بأسلوب التبجيـل والتعظيـم، مـن خـلال المفـردات السياقيـة التـي استخدمهـا المرسـل «لحضرة الملـك المعظـم، والسلطـان المحتـرم، بقية العـرب السلطان فيصـل دامـت بركاته» تلك المفردات تشي بمكانة المرسـل إليه، وتقدر له موقعه السياسي. فالتبجيل والتعظيم للمخاطب برز بأسلوب سجعـي جميل، جسد لغة التماثل الصوتي، جراء التتابـع الموسيقي الذي بوقعه جسد الدلالـة، إذ وظيفة الإيقـاع لا تقف عند حدهـا بل تتعدى لتدعم المعنى المعجمي، كما يرى لوتمان . بعد ذلك انتقل إلى التفصيل بعد

الإجمال «أما بعد» مسترسلا في إلقاء التحية «السلام عليك» بادئاً بالتحية والسلام؛ لكونها لغة الأمن والأمان عند المسلمين، ولذلك هي أول ما يبدأ به في أي خطاب، تلك التحية نقلت الخطاب إلى لغة تفاعلية بين طرفين: المرسل، والمرسلة إليه، بلغة موطئة، استخدم فيها أسلوب الدعاء. «جعلك الله على أحسن الأحوال إنه سميع الدعاء». فالسردية الخطابية سيطرت على مقدمة الخطاب، إلا أن تلك اللغة السردية انتقلت إلى أسلوب تجسدت فيها الخطابية المباشرة، بين الخبر والإنشاء، محدثة إيقاعا ولد دلالة من جراء ذلك التغير.

أخبرك أنه بلغني أن الغيرة حركت أعطافك. = خبري + فعلية.

فوقفت على وجوب الدفاع عن ممالك الإسلام. = خبري + فعلية.

وذكرت مجرى أبائك الكرام. = خبري + فعلية.

حتى ملت إلى الركون إلى الدولة العلية العثمانية. = خبري + فعلية.

فإن كان ذلك كذباً فأنت أنت. = إنشائي. + فعلية.

وإن كان صدقاً فإني أراجع المشيخة في الأستانة.... إنشائي + فعلية.

واحصل لك أنفاس الدولة العلية فتكون أنت الملك المعظم..... إنشائي + فعلية.

ولا تغفل عمَّا جرى على زنجبار. = إنشائي + فعلية.

وافحص عمَّا عليه مملكة الأفغان من الحذر والاستعداد. = إنشائي + فعلية.

والفتوة العربية نشرت ألطافك. = خبري + اسمية.

قراءة لمعطيات الجمل السابقة، أعطتنا نوعاً من التوازن بين الجملتين – الإنشائية والخبرية، كما أن الجملة الفعلية سيطرت على لغة الخطاب فمثلت النسبة الكبرى مقارنة بالجملة الاسمية، وهذه القراءة تعطي مؤشراً بأن الحدث الذي يتحدث عنه الخطاب كان بصيغة الماضي، من خلال دلالات قصدية سردها الباث لمتلقيه، يهدف من وراءها إيصال مكتنزاته الفكرية المرتبطة بأبعاد سياسية، نظراً للمكانة التي كانت تتمع بها الدولة العثمانية، وترى نفسها أنها صاحبة القرار السياسي في المنطقة، فجاءت تلك الدلالات السردية المرتبطة بالماضي؛ ليتحرك بها في المستقبل، والدليل على ذلك الجملتان الأخيرتان: «ولا تغفل عمَّا جرى على زنجبار» فاستخدم لغة النهي لتنزاح للغة الوعيد والتهديد، وكأنه هو الولي وصاحب السلطة والسيطرة، مستغلاً أحداث الانقسام التي طرأت على الإمبراطورية العمانية، والتدخل الإنجليزي السافر، ثم سلكت مفرداته الخطابية أسلوب الإنشاء الطلبي «وافحص عمَّا عليه مملكة الأفغان من الحذر والاستعداد» وسياق الجملة يوحي بلغة مغلفة بالتهديد. بينما جاءت الجملة الاسمية في سياق واحد، وهو مرتبط بسياق الجملة الفعلية «والفتوة العربية نشرت ألطافك».

وعودة لدلالة الخطاب المؤسس لسياقات انزاحت عن لغتها الظاهرة، وذلك ما تؤكده الاكتنازات الدلالية للنص، إذ المرسل يريد الإشارة لمخاطبه بأنني أنا المسئوول عليك، وعليك الالتزام بمجريات نظامي، ويسترسل الباث في سياق لغة التهديد والوعيد المبطنة التي تبرز جلية واضحة في مفرداته السياقية مثل: «فوقفت عن ممالك الإسلام، وذكرت مجرى آبائك الكرام حتى ملت إلى الركون إلى الدولة العلية العثمانية فإن كان ذلك كذباً، فأنت

أنت وأنا أنا» وقوله كذلك «فالرجاء من هممك العالية سرعة الجواب».

إذا كانت الجملة التركيبة قد وضعتنا أمام لغة النص الدلالية، فالبعد الصوتي كان أيضاً صانعاً لبعد دلالي آخر، فالتكرار الصوتي والتماثل الدلالي جاءا ببعد يبرز من خلال هذه الترسيمة:

الغيرة الإسلامية حركت أعطافك

والفتوة العربية نشرت ألطافك

فالتماثل الصوتي على المستويين الأفقي والعمودي فسرا ذلك المعنى الذي رسمه الخطاب في رغبة تحقيق ما بثه المتكلم في أذن مخاطبه.

ومنه:

فأنت أنت

أنا أنا

فالسياق فسر ذلك التصاوت الدلالي بلغة المخالفة، إذ العودة إلى النص يوحي بأن "أنت غير أنا" من خلال لغة النظم المرتبطة بالدلالة العامة لمجريات الخطاب، إلا أن الرسالة لم يطغ عليها السجع والجناس، وإنما جاء حسب مقتضى الحال، فالسجع الذي جاء في سياق الخطاب مثل لغة التوتر الإيقاعي؛ خاصة أنه تغير من السجع المزدوج إلى السجع المسترسل، إذ االموازنات الصوتية غالباً ما تكون في افتتاحيات الخطاب، قصد تحقيق استمالة المُخاطب، وهذا ماجاء به الخطاب السابق في سياق مقدمته.

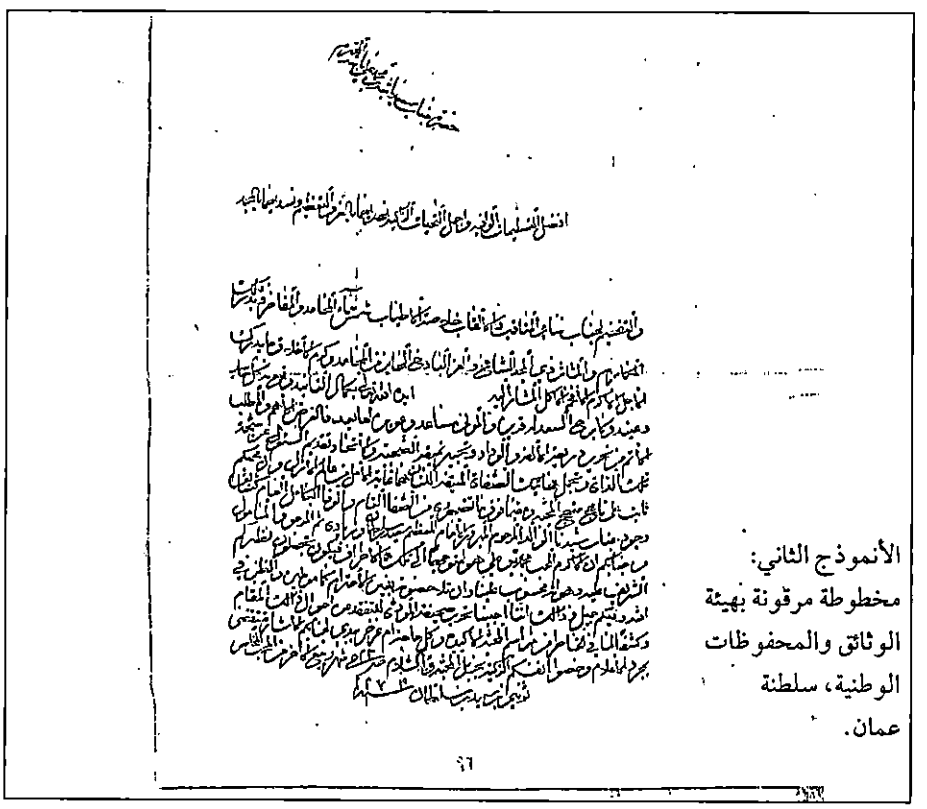

الأنموذج الثاني: مخطوطة مرقونة بهيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، سلطنة عمان.

نص الرسالة السابقة:

بسم الله

حضرة جناب سعيد باشا ابـن محمد علي باشا المحترم.

أفضـل التسليمـات الوافية، وأجمـل التحيات الزاكية،نهديهـا بالعـز والتعظيم،ونسديهـا بالمجـد والتفخيم،لجنـاب سامـي المناقـب والألقاب ،خلاصـة الأطايـب شمسـ سمـاء المحامد والمفاخر، وبدر فلك المكارم والمآثر، ذي المجـد الشامخ، والعز البـاذخ الحائز من المحامد،وكـرم الأخلاق،مـا يـدرك الأجـل الأكرم،والأفخم الأكمل، المشار إليه... أيده الله تعالى بكمال التأييد، ووقاه من حاسد وعنيد، ولا بـرح السعـد له قريـن، والمولـى مساعد وعوين، أما بعد فالغرض الأهم والمطلب الأتم من تحرير در يقر الألفة والوداد، وتحبير بمنفعة الصحبة والاتحاد، وتقديـم السؤل عن صحبة تلك الذات، ونجمل هاتيـك الصفات المتبقية للعيان، وهما غاية الأمل في عالم الأزل، من أن محبكم ثابت على ناهـج منهج المجيد، ومقيما فـوق ما تضهـره من الصفـاء التـام، والوفاء الكامـل الغمـام، كسابق وجود جنـاب سيدنا الوالد المرحوم المبـر، والإمام المعظم سعيد ابن سلطـان وزيادة، ثم المرجـو والمأمول من جنابكم أن الأكرم المحـب محمد بن علي هو متوجها إلـى تلك الأطراف، فيكـون تجعلون نظركم الشريف عليه، وهو أنه محسوب علينا، وأن تلاحظونـه بعين الاحتـرام، كما هو مبين، والظن فـي الله وفيكم جميل، وذلـك أننا أجبنا تحريـر صحيفة المودة، للتفقد عن أحوال ذلك المقام، وكشفا لما في الخاطر من مراسم المحبة الأكيدة، وكل حاجـة أم عرض سيدي لجنابكم الإشـارة، فنقضـي بمجـرد الإعلام،وخصوا أنفسكـم الزكية بجزيل المحبـة والسلام، ٢٣ شهـر ربيع الآخر من المحـب المخلص ثويني ابن سعيد بن سلطان سنة ١٢٧١ هـ.

هيكلة النص:

جاءت هيكلـة الرسالة المصـدرة من السلطان ثوينـي بن سعيد بـن سلطـان البوسعيدي إلى سعيد باشا بن محمد علي باشا.

نوعها: ينتمي للرسائـل الرسمية؛ لكونها تعالج قضية تتعلق بالعلاقات بين البلدين، وما يترتب على ذلك من بعد أمني.

رقمها: ٩٦.

تأريخهـا: جـاءت مؤرخـة بالتاريـخ القمـري الهجري – ٢٣ من ربيع الآخر ١٢٧١هـ.

اسـم المرسل إليه: سعيد باشـا ابن محمد علي باشا.

التحيـة الافتتاحية: جاءت بلغـة وسياق يتناغم مع موضوع الرسالة كقوله: «أفضل التسليمات الوافية وأجمل التحيـات الزاكية، نهديها بالعز والتعظيم، ونسديها بالمجد والتفخيم، لجناب سامـي المناقب والألقـاب، خلاصة الأطايب، شمسـ ثنـاء المحامد، وبـدر كمـال المكارم والمآثـر، ذي المجـد الشامخ، والعـز الباذخ، الحائز في المحامد وكـرم الأخلاق ما يدرك. الأجـل الأكـرم الأفخم الأكمـل المشـار إليه حضرت سعيـد باشا – أيـده الله تعالى بكمال التأييد».

موضوع الرسالة: تعالج قضية الترابط والاتحاد بين البلدين، من قوله: فالغرض الأهم والمطلب الأتم في تحرير رد بهذه الألفة والوداد إلى قوله وكل حاجـة أم غرض نبدي لجنابكـم الإشارة فنقضي بمجرد الإعلام.

الخاتمة: كانت خاتمـة الرسالة مختزلة كقوله:

«وخصوا أنفسكم الزكية بجزيل المحبة والسلام».
المرسل: السيد ثويني بن سعيد بن سلطان.
الختم والتوقيع: بدون ختم أو توقيع.

لغة الخطاب:

صدِّرت الرسالة بمقدمة بجلت فيه المخاطب « أفضل التسليمات الوافية، وأجمل التحيات الزاكية، نهديها بالعز والتعظيم، ونسديها بالمجد والتفخيم، لجناب سامي المناقب والألقاب، خلاصة الأطايب، شمس ثناء المحامد، وبدر ملك المكارم والمآثر، ذي المجد الشامخ، والعز الباذخ، الحائز في المحامد وكرم الأخلاق ما يدرك. الأجل الأكرم، الأفخم الأكمل، المشار إليه: حضرت سعيد باشا – أيده الله تعالى بكمال التأييد».
لقد جاءت مقدمة الرسالة مصدرة بتحية افتتاحية استرسلت في مدح المُخاطَب بمجموعة من الصفات الثنائية المبجِّلة له، بلغة سردية كونتها تماثلات صوتية جسدت لغة الدلالة بفعل ذلك الإيقاع، فالمُرسل استخدام مجموعة من المفردات المتجانسة المسجوعة المحملة بلغة اكتنازية جسدت صفات الثناء والاحترام، قصد الإجلال والتقدير، هذا النمط الخطابي سلكته مقدمات الرسائل في العصور السابقة، فهذا التكثيف السجعي الذي برز في مقدمة هذا الخطاب غايته إبراز مكانة المخاطب. وهذا الأسلوب الخطابي كان متداولا بين الكتاب الأقدمين«[٣٧]».
بعد هذه المقدمة انتقل إلى سياقية الخطاب من خلال قوله «أما بعد: فالغرض الأهم، والمطلب الأتم من تحرير رد بهذه الألفة والوداد، وتحية ببقية الصحبة والاتحاد،.... إلى قوله: وكل حاجة أم غرض نبدي لجنابكم الإشارة فنقضي بمجرد الإعلام».
جاءت لغة النص التركيبية مبنية على الجمل الاسمية والفعلية:
الجمل الاسمية:
فالغرض الأهم والمطلب الأتم في تحرير رد بهذه الألفة والوداد.
وتحية ببقية الصحبة والاتحاد.
وتقديم السؤال عن صحة الذات.
وأن محبكم ثابت على تاريخ منهج المحبة.
ومقيماً فوق ما نظهره من الصفا التام.
المرجو المأمول من جنابكم أن الأكرم.....
وكل حاجة أم غرض نبدي لجنابكم الإشارة.
الجمل الفعلية:
تجعلون نظركم الشريف عليه.
وأن تلاحظونه بعين الاحترام.
أحببنا تحرير صحيفة المودة لنتفقد عن أحوال ذاك المقام.
وخصوا أنفسكم الزكية بجزيل المحبة.
سيطرت الجمل الاسمية على لغة النص، أوحت بدلالات ثابتة غير متغيرة، إذ الدلالة التي يسعى المرسل لتأصيلها هي روح المودة والمحبة، والصفاء، والاستمرار على تلك الروح الطيبة الوفية غير المتغيرة، وهو غاية ما يطمح إليه الطرفان، فالخطاب استرسل في سردية تلك المفردات بلغة برزت فيها لغة المتكلم، مما يدلل على الثبات والتواصل في الاحترام لمُخاطبه، فالمفردات«ثابت، مقيم» جسدت ذلك البعد التصوري الذي أراده الباث لمتلقيه.
بينما جاءت الجمل الفعلية بنسبة قليلة مقارنة

بالجمل الاسمية، وذلك لقلة الأحداث والمتغيرات بهذه الرسالة، إلا أن تلك الجمل تحولت إلى لغة ثابتة بفعل دلالتها للمستقبل، وقصدية المتابعة والملاحظة، بينما جملة «أحببنا...» أراد منها إثبات الفعل لذاتية المتكلم وتبرير العمل الذي قام به «لنتفقد...» وختم الثناء بثناء استخدم فيه لغة الطلب مثبت لمتلقيه أجزل الثناء وأوفره.

إن دلالة مكتنزات البعد المضموني يوحي بقضايا مهمة جدا:

الألفة والوداد، فأمر الترابط بين الدول والشعوب أساسه الود والوئام، ذلك ما أكدته الرسالة.

الثبات وعدم التغير في منهج الاتحاد والاتفاق القائم بين الدولتين.

عدم تغيير منهجية أسلافنا معكم في العلاقات المتبادلة؛ شرط أن تكون بنفس المستوى.

متابعة تبعاتكم من خلال المراقبة والملاحظة لمسؤلياتكم داخل تركيا وخارجها، كما هو الحال لمبعوثكم على مصر.

حسن الظن بين الأطراف مبني على الالتزام بالعهود والمواثيق.

جاءت الرسالة كاشفة لما يدور في خاطرنا من حب وتقدير واحترام.

متى ما أردتم من خدمة متبادلة بيننا وبينكم فنحن رهن إشارتكم.

تلك مضمونية الرسالة التي أرسلت خطاباً للدولة العثمانية بلغة سردية؛ لكونها تحمل بعداً سياسياً قويا.

هذا الخطاب يعد وثيقة رسمية لمدى الترابط والعلاقة بين الدولتين، ويؤكد في ذات الوقت نفسه، بأن عمان ذات منهج قويم في قضية العلاقات الودية بين الأمم والشعوب؛ لأنها دولة تنشد السلم والاطمئنان والأمان من خلال هذه الروابط المتينة.

البعد البلاغي لنصية الخطاب:

تأثرت لغة النص الخطابي بالبيئة المحيطة، إذ طغت على لغة العصر المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، فانعكست على مستويات الخطاب في تلك الفترة. فالمحسنات بتماثلها الصوتي، وتجانسها الدلالي أسست معنى جديداً من فعل ذلك التصاوت والتماثل، ولنتوقف عند هذه الترسيمة لنتبين أبعادها التصويرية:

أفضل التسليمات الوافية
وأجمل التحيات الزاكية

إذ التصاوت عمودياً وأفقياً على مستوى المفردات السابقة ولّد دلالة تشي بقيمة المخاطب، كما أن استخدام صيغة التفضيل رفعت من المكانة الذاتية للمُخاطب، وأكدت البعد العلائقي بين الدولتين في صيغته الإيجابية.

ومنها قوله:

نهديها بالعز والتعظيم
ونسديها بالمجد والتفخيم

فالتماثل الدلالي كان نتيجة التماثل الصوتي في الجملتين السابقتين والذي جاء على ثلاث مستويات، إذ افتتح الجملة الأولى بقوله «نهديها» = نسديها في العبارة المماثلة. وترادف العز مع المجد، والتعظيم=التفخيم. ذلك التكرار الصوتي يتبعه تكرار دلالي بقصدية التوكيد والإشارة لقيمة المخاطب وإبرازاً لمكانته.

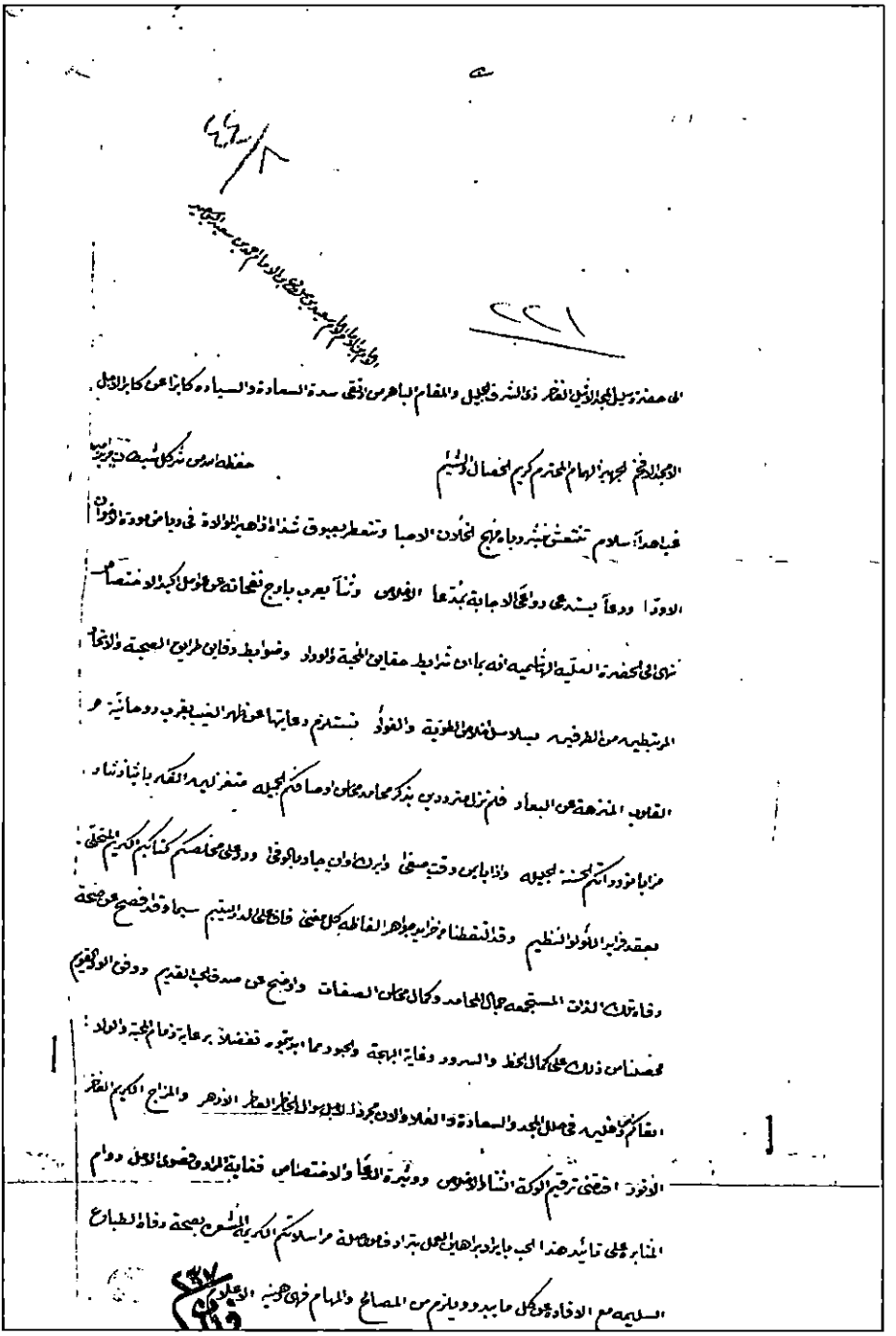

الأنموذج الثالث: مخطوطة مرقونة بهيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، سلطنة عمان.

نص الرسالة السابقة:

« إلى حضـرة سليل المجد الأثيـل، الفخر ذي الشـرف الجليـل، والمقام الباهـر، من ارتقى سدة السعـادة والسيادة كابرا عـن كابر، الأجل الأمجـد، الأفخـم الجهبذ، الهمـام المحترم، كريـم الخصـال والشيـم، الإمام بـن الإمام، الإمـام سعيد بن سلطـان بن الإمـام أحمد بن سعيـد البوسعيدي - حفظـه الله - من شر كل شيطان مريد آمين.

نحـب إهـداء: سـلام تنتعش بنشـر رباه مهج الخلان الأصبـا، وتتعطر بعبوق شـذاه أزاهير الموالاة، في رياض مودة الإخوان الأودا، ودعا يستدعي دواعـي الإجابة بمدعـى الإخلاص، وثنـى يعرب بـادج نفحاتـه عن عوامـل أكيد الاختصاص، ننهـي إلـى الحضـرة العليـة الهاشميـة، أنه بمـا أن شرايط حقايـق المحبة والـوداد، وضوابـط دقايـق طرايـق الصحبة والاتحـاد، المرتبطين مـن الطرفيـن بسلاسل خلاص الطوية والفـؤاد، تستلزم رعايتها عن ظهر الغيب بقرب روحانية القلوب المنزهة عن البعاد، فلم نـزل مترددين بذكر محامد محاسن أوصافكم الجميلـة، متغزلين الفكر بإثبات ثناء مزايا تودداتكـم الحسنة الجليلـة، وإذا يا بمن وقت صفى وابرك وإن جاد بالوفى ، ورد على مخلصكـم، كتابكـم الكريـم، المتحلي بعقد فرايـد اللؤلـؤ النظيم، وقد التقطنـا في خرايد جواهـر ألفاظه كل معنى فاق على الدر اليتيم، سيمـا وقد أفصح عن صحبة وفـاء تلك الذات المستجمعـة جمال المحامـد، وكمال محاسن الصفات، وأوضح عن صـدق الحب القديم، ووفق الود القويم، فخصنا من ذلك على كمال الحـظ والسرور، وغاية البهجـة والحبور؛ مما أبديتموه تفضلا برعاية ذمـام المحبة والولاء.

أبقاكـم الله دافلين فـي حلل المجـد والسعادة والعـلا، والآن مجـردا لأجـل سـؤال الخاطر العاطر الأدهر، والمزاج الكريم الفاخر الأنور، اقتضى ترقيم ألوكة الثنـاء والإخلاص، ووتيرة الدعـاء والاختصاص، فغاية المـراد وقصوى الأمل دوام المثابرة على تأييد هذا الحب بإيراد براهين العمـل، بترادف مواصلـة مراسلاتكم الكريمة، المشعرة بصحة رفاه الطباع السليمة، مع الإفـادة عن كل ما يبد ويلـزم من المصالح والمهام فهي رهينة الاعلام.»

هيكلة النص:

جاءت هيكلة الرسالة المصدرة من محمد علي باشا العثمانـي إلى السلطان سعيـد بن سلطان البوسعيدي.

نوعها: ينتمي للرسائل الودية.

تاريخها: غير واضح.

اسم المرسـل إليه: السلطان سعيـد بن سلطان البوسعيدي.

التحيـة الافتتاحيـة: جاءت المقدمـة في غاية التبجيـل والاحتـرام متناسبة مـع الموضوع. وذلك قوله: «إلى حضـرة سليل المجد الأثيل، الفاخر ذي الشرف الجليل، والمقام الباهر، من ارتقى سُدَّة السعادة والسيـادة، كابرا عن كابر، الأمجد الأفخم، الجهبذ الهمام المحترم، كريم الخصال والشيم، الإمام بن الإمام الإمام سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي - حفظه الله من شر كل شيطان ومريد - آمين».

موضـوع الرسالة: جاءت تعبر عن الود والألفة بيـن الدولتيـن، وذلك مـن قوله: فهـذا سلام تنتعش بنشر رباه مهـج الخلان إلى قوله: فغاية المراد وقصوى الأمـل دوام المثابرة على تأييد هذا الحب.

الخاتمة مع الإفادة عن كل ما يبدو ويلزم من المصالح والمهام فهي رهينة الإعلام.
المرسل: محمد علي باشا.
الختم والتوقيع: مختومة وموقعة.

لغة الخطاب:

بعد ترف المقدمة الموجه لحضرة مقام الإمام بن الإمام السلطان سعيد بن سلطان "إلى حضرة سليل المجد الأثيل، الفاخر ذي الشرف الجليل، والمقام الباهر، من ارتقى سُدَّة السعادة والسيادة، كابراً عن كابر، الأمجد الأفخم، الجهبذ الهمام المحترم، كريم الخصال والشيم، الإمام بن الإمام الإمام سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي - حفظه الله من شر كل شيطان ومريد - آمين.
لغة المقدمة ضمخت بلغة سجعية، وتمثلات صوتية، كانت مقصودة للمتلقي من قبل الباث، إذ تلك التجانسات الصوتية والتكرارت الدلالية، لم تكن بمحض الصدفة، بل صنعت من أجل قدرتها على التأثير النفسي للمتلقي، هذه اللغة الخطابية كانت مستخدمة في العصور السابقة. فقارئ المقدمة الافتتاحية يشعر بلغة خطاب الغائب - « إلى حضرت سليل..... -، المترادفة دلاليا، المتحولة من صوت إيقاعي إلى صوت إيقاعي آخر مضمخة بدلالات التقدير والتبجيل والاحترام، التي احتلتها مكانته السامية، وأفعاله الحميدة. بعد تلك المقدمة الثنائية للمخَاطب، تواصلت لغة الخطاب، مفتتحة بتحية رسمت صوتا تجانسياً بفعل لغة التماثل الدلالي»:
أ - « فهذا سلام تنتعش بنشر رباه مهج الخلان الأصبا»
«وتتفطر بعبوق شذاه أزاهير المولاة في رياض مودة الإخوان الأودا».
ب - ودعا يستدعي دواعي الإجابة بمدَّعي الإخلاص.
وثنا يُعرب بأوج نفحاته عن عوامل أكيد الاختصاص.
جاءت الرسالة ببعد أدبي تصويري رائع، مستخدماً التماثلات الصوتي، والتعبيرات الانزياحية، لرسم أبعاده السياسية، فالتماثلات الصوتية رسمت معنى قد ارتسم في ذاكرة المرسل، فبعث ذلك الأريج لمحبه، مختاراً له أفضل العبارات، مثنياً عليه بنفحات الحب والعرفان، فالسلام في بعده يعني الأمن، إلا أن المتكلم ربطه بلغة انزاحت إلى معنى أوسع، وفضاء أرحب، إذ أكد من خلاله قضية الترابط والمولاة. كما أن سياق التجانس في قوله:
ودعا يستدعي دواعي الإجابة بمدَّعي الإخلاص.
وثنا يُعرب بأوج نفحاته عن عوامل أكيد الاختصاص.
يوحي ببعد تلفه لغة السياسية، من خلال بالإجابة الصادقة والمخلصة، وما تشتمل عليه من أبعاد، لذلك نجد لغة الخطاب بها تصاوت داخلي، بصيغة السؤال والجواب.
بعد تلك التحية، دخلت لغة الخطاب لثنايا الموضوع بأسلوب لا يشعر بانقطاع صوتي - وهو ما يسمى عند أهل النقد بحسن التخلص -، بل يوحي باسترسال صوتي ودلالي:
«ننهي للحضرة العلية الهاشمية، بما أن ترابط حقائق المحبة والوداد، وضوابط دقائق الصحبة والاتحاد، المرتبطين من الطرفين بسلاسل خلاص الطوية والفؤاد، تسلتزم رعايتها عن ظهر الغيب... ».
ذلك البناء التركيبي المصدر بالجمل الفعلية التي ربطت الحدث بالزمن المستقبلي،

أوحت بقوة الترابط واستمراره بين الدولتين، إذ الدولة العثمانية مرتاحة لذلك الود الأخوي بين الطرفين، كما أن إيحاء المفردات السياقية بسرديتها يتواصل؛ ليبين صدق الطوية من جراء هذه العلاقات، إذ العلاقات تستلزم الرعاية والحفاظ؛ لتبقى بعيدة طاهرة عن كل ما يدنسها.

لقد استخدم الباث لغة الاستمرار «فلم نزل مرددين..» وتلك إيماءة قوية أوحت بأن المُخاطب يشير لمخاطبه بأنه حاضر في ذاكرته، مقدرٌ لخلقة وصفاته الحسنة، ويؤكد ذلك السياق استخدامه لأفعال الاستمرار «متغزلين الفكر...».

بعد هذا التمهيد المسترسل المضمخ بالمفردات الجميلة، يصل المرسل لإيضاح الغاية من هذا الخطاب «وردٌ على مخلص كتابكم الكريم» إذ هو جواب لرسالتكم العصماء الصادقة المتجلية بصدق الطوية، وحسن النية. وقد استخدم الباث أسلوباً يؤكد فيه مكانة الخطاب للمرسل إليه عندما قال: «كتابكم الكريم المتحلي بعقد فرائد اللؤلؤ النظيم، وقد التقطنا في فرائد جواهر ألفاظه كل معنى فاق على الدر اليتيم».

لم تكن الرسالة مجرد كلام عابر، بل تحمل في طياتها أبعادا دلالية قصدية، إذ يؤكد المرسل لمُخاطبه بأنه وفيٌ للمحبة والصداقة، وهو ما بعث في لغة المرسل السرور والأريحية. وذلك جلي في قوله «سيَّما وقد أفصح عن صحة وفاء تلك الذات المستجمعة جمال المحامد وكمال محاسن الصفات، وأوضح عن صدق الحب القديم... وغاية البهجة والحبور ما أبديتموه تفضلاً برعاية ذمام المحبة والولاء».لم يتوقف المرسل مع مُخاطَبه عند تلك الدلالة، بل تواصل ليؤكد مطلبه بعدم الانقطاع والاستمرار مع هذه الروح، مضمنا خاتمة رسالته، بعداً رسمياً يتجلى من قوله: «فغاية المراد، وقصوى الأمل، دوام المثابرة على تأييد هذا الحب، بإيراد براهيين العمل بترادف مواصلة مراسلتكم الكريمة المشعرة بصحة رفاه الطباع السليمة».

لكننا نلمح انزياحاً دلالياً في نهاية الرسالة، إذ البعد المضموني يوحي بتقوية الروابط السياسية، والمصالح المشتركة بين الطرفين، مثل قوله: «والإفادة عن كل ما يبدو ويلزم من المصالح والمهام، فهي رهينة الإعلام».

اللغة السياسية عاشت بين ثنايا لغة التواد، إذ التعايش السلمي وحسن الجوار والتعاون والتواد، مرمى هدف كل أمة راشدة تخطط لاستمرارية قوتها، وهذا ما أوحت إليه خطابية الرسالة.

جاء أسلوب لغة الخطاب قوياً من جراء استخدام المفردات المنسجمة مع دلالة النص كقوله:

« فهذا سلام تنتعش بنشر رباه مهج الخلان الأصبا، وتتفطر بعبوق شذاه أزاهير المولاة في رياض مودة الإخوان الأودا».

«سيَّما وقد أفصح عن صحة وفاء تلك الذات المستجمعة جمال المحامد وكمال محاسن الصفات، وأوضح عن صدق الحب القديم... وغاية البهجة والحبور ما أبديتموه تفضلاً برعاية ذمام المحبة والولاء».

فقوة النص اكتسبها بوقع الدلالة، وانسجامها مع لغة الخطاب، إذ لم تسيطر على النص سجعية الكهان، بل جاء من ذلك ما يعزز المعنى، ويسند الخطاب، سوى ما أشرنا إليه من مقدمة الرسالة، والتي طغت عليها لغة العصر المفتونة بالتجانسات الصوتية.

خاتمة:

نصل بعد هذه القراءة الوصفية التحليلية إلى نتائج عامة وهي:

أغلب المراسلات الخطابية بين سلاطين الدولتين كان ذا طابع رسمي، حتى ولو بدت مفرداتها المعجمية بمعنى الود.

اللغة النصية للخطاب جاءت واضحة لا غموض فيها؛ لكونها تحمل أبعادا رسمية، سوى ما جاء منزاحا بين ثنايا الخطاب لغاية سياسية.

لغة السجع والجناس كانت مسيطرة على افتتاحيات تلك الخطابات بين الدولتين.

جاءت صورة هيكلية بناء الخطاب بين الدولتين انعكاساً لمستويات بناء الخطاب في عصر الدولة العثمانية.

الأسلوب اللغوي والدلالي للرسائل كان بين القوة والضعف تساوقاً مع مقتضى الحال.

الهوامش:

١ - الفارسي، تركية، العلاقات العمانية العثمانية ١٧٤٤ - ١٨٥٦ - - أطروحة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، ٢٠٠٦ .

٢ - رمضان، صالح، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، مشروع قراءة شعرية، ط٢، دار الفارابي، بيروت،٢٠٠٧، ص ١٢-١٣.

٣ - ابن وهب الكاتب، أبي الحسن إسحاق بن ابراهيم بن سليمان، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٥٢ - ١٥٣.

٤ - ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ط ١، ١٩٩٠، ص ٤-٥.

٥ - الحلبي، شهاب الدين محمود ٧٢٥ هـ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق ودراسة، أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام العراق، ١٩٨٠، ص ٧١-٧٢.

٦ - يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي- الزمن - السرد - التبئير -، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص ٢٥٣.

٧ - الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص ٨.

٨ - - القلقشندي، لأبي العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١، ط، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ م، ص ٣٩.

٩ - يحياوي، رشيد، شعرية النوع الأدبي في قراءة النقد العربي القديم، ط ١، افريقيا الشرق، ١٩٩٤، ص٦٠-٦١.

١٠ - المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢١٨ -٢١٩.

١١ - صبح الأعشى، ج١ ص ٢٣.

١٢ - الرسائل الأدبية، ص ٦٢.

١٣ - تطور الأساليب النثرية، ص ٣٢٣.

١٤ - ربيعة العربي، الحد بين النص والخطاب، كلية الآداب، أكادير، مجلة علامات في النقد، ٢٠١٠، العدد ٣٣، ص ٣٣.

١٥ - المرجع السابق ص ٤٠.

١٦ - المرجع نفسه ص ٤٢.

١٧ - تحليل الخطاب الروائي، ص ٢٥٤.

١٨ - هيئة الوثائق والمخطوطات الوطنية، سلسلة البحوث والدراسات في الوثائق الوطنية والدولية ١، العلاقات العمانية العثمانية في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية، سلطنة عمان ٢٠١٢.

١٩ - المرجع السابق، ص ١٢-١٣.

٢٠ - المرجع السابق، ص ١٦- ١٧.

٢١ - المرجع السابق، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

٢٢ - المرجع السابق، ص ١٤٨ - ١٤٩.

٢٣ - المرجع السابق، ص ٧٢ - ٧٣.

٢٤ - هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، مخطوطة مرقونة.
٢٥ - المرجع السابق.
٢٦ - المرجع السابق.
٢٧ - سلسلة البحوث والدراسات في الوثائق الوطنية والدولية ١، ص٢٤ - ٢٥
٢٨ - المرجع السابق، ص ٤٤- ٤٥.
٢٩ - الحمداني، حميد، من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط الدار البيضاء، ١٩٩٥، ص ٩-١٠.
٣٠ - لا ينز، جونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق عبد الوهاب، ط دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٨ -١٩.
٣١ - الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ٢٠٣.
٣٢ - صبح الأعشى، ج٣، ص ١-٥٨.
٣٣ - انظر: شعرية النوع الأدبي، ص ١٤٨ - ١٥٠.
٣٤ - المرجع السابق، ص ١٥٠ - ١٥١.
٣٥ - أنظر: المقداد، محمود، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، ط١، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص ٢١٧ -٢٣٢.
٣٦ - شعرية النوع الأدبي، ص ٨٥.
٣٧ - الرسائل الأدبية، ص ٥٦٣.

المصادر والمراجع

- ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ط ١، ١٩٩٠.
- ابن وهب الكاتب، أبي الحسن إسحاق بن ابراهيم بن سليمان، البرهان في وجوه البيان، تحقيق:حفني شرف، ط مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٩.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨١.
- الحلبي، شهاب الدين محمود ٧٢٥ هـ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق ودراسة، أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠.
- الحمداني، حميد، من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب الرباط، ط الدار البيضاء، ١٩٩٥.
- رمضان، صالح، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم - مشروع قراءة شعرية ط٢، دار الفارابي بيروت،٢٠٠٧ .
- الفارسي، تركية، العلاقات العمانية العثمانية ١٧٤٤ - ١٨٥٦«أطروحة ماجستير»، جامعة السلطان قابوس، ٢٠٠٦.
- القلقشندي، لأبي العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
- لا ينز، جونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق عبد الوهاب، ط دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٧٨.
- المقداد، محمود، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، ط١، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، ١٩٩٣.
- المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، سلسلة البحوث والدراسات في الوثائق الوطنية والدولية ١، العلاقات العمانية العثمانية في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية، سلطنة عمان ٢٠١٢.
- هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، مخطوطة مرقونة.
- يحياوي، رشيد، شعرية النوع الأدبي في قراءة النقد العربي القديم، ط ١، اأفريقيا الشرق ١٩٩٤.
- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي- الزمن - السرد - التبئير -، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

الدوريات:

ربيعة العربي، الحد بين النص والخطاب، كلية الآداب أكادير، مجلة علامات في النقد، ٢٠١٠، العدد ٣٣.